تاريخ الادب العربي

تأليف السيد احمد حسن الزيات طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . الطبعة الثانية
(ص٣١٣) طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤسسة سنة ١٩١٤

مؤلف هذا الكتاب من نوابغ الادباء الذي أحكموا القديم من أدوات الكتابة ، وضموا اليها ما ينفعها من الحديث . وقد علمنا من حياته انه بعد ان حفظ في الأزهر القرآن ودرس التجويد والقراآت وعلوم الشريعة واللسان وقرأ أمهات كتب الأدب على العلامة سيد بن علي الرصفي حذق اللغة الفرنسية ودرس الحقوق بها ، وأحرز شهادة العالمية من جامعة باريز ، وغذى عقله بحرية البحث ومحبة النقد ، ثم انصرف الى تدريس آداب العرب وعني بالتأليف والترجمة . وكتابه هذا من خير ما أخرج للناس من الأسفار ألفه بحسب برنامج معارف مصر للمدارس الثانوية فجاء مما يستفيد منه كل من تطمح نفسه الى الإلمام بهذا الفن الواسع الاطراف ، المتشعب المناحي . بدأه بالكلام على أدب اللغة ومنزلة الأدب العربي وتاريخه وفائدته وتقاسيمه وعلوم العرب واللغة ولهجاتها وأطوارها وخصائصها والنثر والحكم والخطب والشعر وأوليته وتقسيمه عند الفرنج وأبان السبب في خلو الشعر العربي من القصص وميزات الشعر الجاهلي والرواية والمعلقات والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوصف والنسيب وأورد تراجم جميلة مع الايجاز لشعراء الجاهلية والاسلام والخطباء والكتاب ، وألم بتدرج اللغة وما أثره الاسلام فيها وتأثيرات القرآن الكريم وإعجازه وأسلوبه وتأثيره وجمعه وتدوينه .

وعرض لعبد الحميد الكاتب واثره في الكتابة والموازنة بين الكتابة في عهده وبينها في الجاهلية واثر الخطابة في الاسلام وأورد تراجم علي بن ابي طالب وصحبان وزياد والحجاج بن يوسف ومثالات من خطبهم ومن النثر في عهدهم وذكر الشعر في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العصر الأموي وسيرة طائفة من النابهين من شعرائه ونماذج من أقوالهم . وانقلب بعد ذلك الى العصر العباسي وما آل اليه الأدب بتأثير الحضارة الفارسية فيه وترجم لأعيان الكتاب والشعراء والادباء والنحويين واللغويين والفلاسفة والمحدثين وألمّ بما صارت اليه كتابة التاريخ وتدوينه وعلوم الحديث والفقه والفلسفة وما صارت اليه اللغة في العصر التركي وذكر بعض أعلام الأدب ووصف ضعف ملكة البيان حتى كان الاحتلال الفرنسي في مصر وما تبع ذلك من عمل محمد علي الكبير فآضت اللغة الى بعض رونقها وترجم من المعاصرين في الأدب اربعة رجال وامرأة من المصريين وذلك بحسب الخطة التي رُسمت للكتاب وهم المرحومون محمود سامي البارودي ومحمد عبده وحفني ناصيف والشيخ حمزة فتح الله وملك ناصف ابنة حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية . وذيل الكتاب بمعجم صغير لتفسير ماورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة .

هذه رؤوس المسائل في هذا الكتاب الذي جوّد مؤلفه تصنيفه وجمع الى الجزالة الرشاقة فأتى بمجموعه مثال الكلم الطيب والقول البليغ والتحري في البحث والتصنيف زهرات أئمة الأدب وإدماجها في أسلوب يحبب تلاوته ومراجعته ، ولقد يكتفي طالب هذا الفن بهذا المثال الجيد من أدب العرب ، ويتبلغ بهذه الزبدة الطيبة تملأ وطابه وتغنيه في سن الدراسة عن الرجوع الى المطولات . وعسى ان تصح عزيمة المؤلف النابغة على وضع كتاب مطول في هذا الفن الذي قال فيه انه علم حديث النشأة ابتدعه الايطاليون في القرن الثامن عشر وظل مجهولاً في الشرق حتى اشتد خلاطه بالغرب فكان اول ما نقله الاستاذ المغفور له حسن توفيق العدل اقتبسه من المانيا ودرسه في دار العلوم[1] بمصر .

(١) ألف صديقي العلامة المرحوم حسن توفيق العدل كتاباً في آداب اللغة العربية وتفضل ودفع اليّ في سنة ١٩٠١ بمصر مسودات الجزء الاول فقرأته واعدته اليه ولا أعلم اذا كان مثّل بالطبع ، ومما قرأته من الفوائد فيه ان اوزان الاغاريض من مخترعات العرب الصرفة وانهم لم يأخذوا وزناً من غيرهم بل اخذ عنهم كثير من أمم اوربا انواعاً من القافية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما قاله في الرواية والمعلقات (ص ٢١) « قال ابو عمرو بن العلاء : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله . ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير) ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها مُريبة ، فان الشعر لم يدوَّن الا في منتصف القرن الثاني للهجرة، وان في نقله على الألسنة طول هذه الأزمنة مَظِنَّة للتبديل والاختلاق والتزيد » اه . وقد ثبت ان التدوين سبق هذا العهد فان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وكان عبد الله بن عمر يكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . فليس من المعقول ان يتأخر العرب في تدوين شعرهم وهو ديوان مفاخرهم وصحيفة ادبهم وتاريخهم الى منتصف القرن الثاني .

وقال (٨٢) : وقامت خلافة الأمويين على غير عَمَد من الحق فساسوا الناس بالتفريق وإحياء العصبية واوقدوا نار التنافس بين الشعراء ... ولهى الناس عن الخصومة في خلافتهم بالخصومة في امر جرير والفرزدق والأخطل ، وحلّ المربد في الاسلام محل عكاظ في الجاهلية ، فعلوا ذلك بالشام والعراق فظهر الهجاء السياسي وهو فن من الشعر جديد واعتقلوا شباب الهاشميين وسراتهم في مدن الحجاز ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلوهم بالمال ، وخلّوا بينهم وبين الفراغ ، فتدفقوا في اللهو ، وعكفوا على الغناء ... اه . وليس هذا الكلام صحيحاً على إطلاقه لان الأمويين لخصومهم طلبوا دولة فبلغوها بمضائهم وعصبيتهم وحسن سياستهم ، واذا كان الهاشميون من طينة غير طينة العرب او البشر في الفضل والتقى فلماذا مالوا كل الميل الى ما حمله الامويون اليهم من اسباب الترف والسرف . ولو وقف الامر عند الحد الذي أراده الحجازيون والعراقيون اذ ذاك لما انتشر الاسلام هذا الانتشار المدهش ولا بلغت فتوحاته المغربين والمشرقين .

وقسم المؤلف العصر العباسي الى اربعة اعصر تبعاً لاحواله السياسية والاجتماعية ، فالعصر الاول من ابتدائه الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ، والثاني من خلافة المتوكل الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ، والثالث من تغلب البويهيين الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ، والرابع من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في ايدي النثر سنة ٦٥٦ وهذا التقسيم سار عليه ايضاً بعض المؤلفين المحدثين الذين دوّنوا شيئاً في تاريخ الادب عند العرب .

واعتذر الاستاذ عن إغفال ذكر الشاميين وأثرهم في النهضة العربية بقوله : وما كان أروح للنفس لو اتسع صدر هذا الكتاب لتراجم مواطني وجيرتي ! ولكن البحث محدود والقلم موجز . ومهما يكن من شيء فلن يفوتنا ذكر اسمائهم مُعْتَبَةً باسماء معاصريهم في العراق والمغرب ، اعترافاً لهذه النفوس الكبيرة المطمئنة بالاحسان والفضل » .

وقد وقعت بعض هنات قليلة جداً للمؤلف اكثرها من غلط الطبع مثل « اعتنق الاسلام » وهذا من التعابير الافرنجية والأولى انتحل او دان او غير ذلك . ومنها (ص ٢٣٢) ان الاستاذ جويدي الايطالي وضع فهرساً ابجدياً مطولاً للاغاني وطبعه بمصر سنة ١٣٢٢ والصحيح ان الاستاذ الايطالي وضع جداول الاغاني بمؤازرة ثمانية من علماء المشرقيات وطبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ وما طبع في مصر منتحل من الطبعة الفرنسية ومنقول عنها . وروى (ص ٢٤٥) ان كتاب البدء والتاريخ هو لابي زيد البلخي ولكن تبين آخراً انه للمطهر بن طاهر المقدسي ، وان ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات الاطباء والصحيح ان صاحب هذه الطبقات ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وكتاب ابن ابي أصيبعة اسمه عيون الأنباء في طبقات الاطباء . وقال ان ابا الفداء وصل في كتابه المختصر في اخبار البشر الى سنة ٩٢٩ وصوابه ٧٢٩ وابو الفداء مات سنة ٧٣٢ كما جاء في الكتاب نفسه . وجميع صفحات الكتاب درر وغرر .

محمد كرد علي